(( **أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ** ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

هل سمعتم بحلف الفضول ؟

حلف عقدته قبائل من قريش في دار عبد الله بن جدعان على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه ، وشهد رسول الله هذا الحلف ، وقال بعدما أرسله الله تعالى نبيّاً ورسولاً : «لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان؛ ما أحبّ أن لي به حمر النّعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» . فقه السيرة ص76 .

يا له من موقف عظيم ، وخلق كريم تغلغل في سويداء قلب رسول الله فكان يشيد به بعد بعثته .

هل تذكرون العامل الذي تعلق بأستار الكعبة يدعو على كفيله ؟ يقول الراوي: " والله سمعته يلحّ على الله في الدعاء ويبكي ويتظلم فو الله لقد سمعت منه دعاء يهد الجبال ويفتت الصخر حتى أني أقبلت عليه وأمسكت بفمه ، وقلت له اتق الله كيف تدعو على أخيك المسلم هكذا ؟ فلم يجبني واسترسل في الدعاء حتى ظننت أن شيئا ما سيحدث وبعد أن فرغ من الدعاء التفت إلي وهو يمسح بدموعه ويقول : هنا يا شيخ هنا في هذا المقام العظيم يستجاب الدعاء .

هنا يستغيث الملهوف هنا يشكو المظلوم. لقد ظلمنا من رئيس مؤسستنا ، غمط حقوقنا ، تجاهل مطالبنا ، استحقر جنسنا ، تكبر علينا ، لا يرد على مكالمتنا ولا على رسائلنا .

والله لقد أدمى هذا الظالم قلوبنا ، ووالله إني لأجيء إلى هذا المكان وأقف عند الملتزم لأدعو عليه وأتوسل إلى من يجيب المضطر إذا دعاه وأسأل الله المنتقم الجبار بقلبي ولساني أن ينتقم منه وأن يأخذ بحقي وأنا على يقين بأن الله سيعاقب هذا الظالم في الدنيا قبل الآخرة " .

هل تذكرون موقف رسول الله ، عام حجة الوداع ، يوم قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» رواه البخاري .

عباد الله إن الإنسان ليفزع إلى الله تعالى مما يرى ويسمع من صور الظلم والقهر ، والبخس ، والمماطلة التي تمارس من بعض الكفلاء ، والشركات ، والمؤسسات التي لا ترقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمةً فلو أقسمت لا أحنث أنه ما بين فينة وأخرى إلا ويستوقفني عامل يتظلّم أو خادمٌ يتألم ، أو سائق مقهور ومكفول مهدّد بالطرد والإبعاد ، والترحيل والاستبعاد .

يا ترى هل نسي الناس أن الله تعالى حرم الظلم على نفسه فقال سبحانه : «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا » رواه مسلم . ؟

هل جهل هؤلاء أن النبي «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ رواه البخاري ؟

هل أعمى الجشع والطمع أبصار هؤلاء وبصائرهم عن الوعد والوعيد لمن استخفّ وماطل وظلم في حقوق العباد ، والنبي يقول : «اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» متفق عليه ؟

هل استولت عليهم الأنانية والجشع حتى كأنك تنظر إلى بحيرة يأكل كبار الحوت صغارها ، أو في أرض مسبعة يفترس فيها القوي الضعيف ؟

ولست مبالغا وربِّ الكعبة فيما أقول فهذا واقعٌ ملموس ، يشهده القاصي والداني فأين الخوف من الله ؟

أين هؤلاء من قول نبيّنا : «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ» رواه مسلم ؟

أين نحن من هذا الحديث القدسي الذي تشيب من هوله مفارق الولدان يقول النبي فيما يرويه عن ربه عز وجل قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ " رواه البخاري ؟

ولكن حين يضعف الإيمان ، ويغيب الوازع الديني ، ويموت الضمير ، وتضمحل الرحمة من القلوب ، ويسيل اللعاب ، أمام بريق الدرهم والدينار ، والذهب والريال ، ينسى العبد لحظة النهاية وفراش الموت ، وظلمة القبر ، وهول الحشر ، ويظن أنّ تأخر العقوبة إمهالاً لا إهمالاً . فلا تعجب! من هول ما ترى من الاستخفاف والعبث والبخس ، والتساهل بحقوق العباد ، قسماً بمن أحلّ القسم ليأتين يومٌ يقتصّ فيه للبهيمة من البهيمة يقسم نبينا وهو يقول : «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» رواه مسلم .

ماذا سيقول الكفيل الظالم ؟ والعامل الخائن ؟

ماذا سيقول من اؤتمن فخان ، وعاهد وغدر ؟

ماذا يقول من استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره ؟

ماذا يقول من استقرض واستدان ثم وعد وخلف ؟

ماذا يقولون في ذلك الموقف الذي يقول الله تعالى فيه:

ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ الأنبياء: ٤٧

سمعت من بعض الوافدين صورا من التعسّف والظلم وبخس الحقوق تئنّ لها الجبال الراسيات ، وأنا لا أعمم حاش وكلّا فلا أشك في وجود بعض الكفلاء الأخيار الذين لا يبخسون الناس شيئا ، ولكني أخاطب فئة من بني قومنا ، منّ الله عليهم بالمال والثراء فزلّت أقدامهم في البغي والطغيان والظلم والبهتان ، فئة آن الأوان لنذكرهم بمقولة عمر : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) .

جلست مع بعض الوافدين وهو يتحدّث عن المعاناة ، والآلام التي تجرعها ليصل بها على كفالة شركة ما لهذه البلاد الطاهرة .

فقبل أن يصل هذا الأجير المسكين ، والعامل الموعود بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة من الأنعام والحرث ، ناهيكم عن إغراءه بالصلاة في الحرم وعند الحجر ، وزيارة أهله وأقاربه ، وضمان النفقة والسكن والنقل في ملف ضخم من الوعود والإغراءات ، فيطير العامل فرحاً ، يقول محدثي وهو من إحدى الدول الفقيرة : " والله بعت ما لدي من ممتلكات واستدنت حتى جمعة قرابة أربعين ألف ريال " ، ناهيكم عن حجم المعاناة التي تكبدها هذا العامل ، من ملف إلى ملف ، ومن طابور إلى طابور ، ومن دائرة إلى دائرة ، ومن موظف إلى موظف ، ومن دفع للرسوم بحقّ وبغير حق فلا يصل إلى هذه البلاد إلا وقد بذل دم قلبه .

ومع تلك المعاناة لا تنسى رعاك الله عذاب السفر، وألم الغربة ، ومرارة الفراق للزوجة والأولاد ، فقد غادر هذا العامل المسكين في رحلة البحث عن لقمة العيش، وسدّ الرّمق تاركاً منشأه ومولده .

فإذا تحقق حلمه ، ووصل مبتغاه رأى العقود ، والشروط ، والوعود حبراً على ورق ، وأضغاث أحلام، ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ النور: ٣٩ .

فالصلاة في الحرم أصبحت حلماً يتجدد ، والعمل المتفق عليه قد تشعّب وتمدّد فمن سائق إلى عامل ومن حارس إلى نجار ، ففي الصباح سائق ، وفي المساء حارس ، وفي الظهيرة عامل ، وساعات الدوام تتضاعف ، والمستحقات المالية تتأخر وتتقلص ، وويلٌ له ثمّ ويل له لو أطال المكث في المسجد قليلاً ، أو لوحظ وهو يتناول وجبةً من الطعام أثناء ساعات عمله .

أما المرتّب فسئل به خبيرا ، فلم يعد سرّاً أن يمرّ الهلال ثم الهلال ثم الهلال دون أن يقبض هذا الوافد المسكين راتبه المنتظر ، وكنزه المدّخر ، فتنشب معركةٌ بين العامل وأهله ، فأهله أولاده ينتظرون المال المدّخر وهو يحنّ ويئن بين المؤسسة والشركة والكفيل ، فإن تظلّم واشتكى هدّد بالخصم والخروج النهائي ، والنبي يقول : «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ» رواه ابن ماجه وصححه الألباني في المشكاة 2987 .

وأمّا المسكن فلو ألقيت عليه نظرةً لفررت منه فرار المجذوم من الأسد ، ولملئت منه رعبا ، ناهيكم عن سوء التعامل والاحتقار ، والهمز ، واللمز ، والسبّ ، والشتم ، بل إن بعضهم يتعدّى بالضرب والاعتداء على بعض العمال البسطاء ، يقول أَبو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ» رواه مسلم .

بل إنّ بعض هؤلاء ربما استقدم عدداً من العمالة ثمّ سرّحهم في الأرض يسيحون فيها مقابل عطايا مادية تعطى في زمن معلوم ، وبقدر معلوم ، فيجمع بعضهم عدداً من الفيز والتأشيرات بطرق ملتوية مخالفة للشرع والنظام ، ويبيعها بمبالغ باهظة ، وقد سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء عن حكم توزيع العمال المكفولين للعمل عند الناس وأخذ نسبة منهم نهاية كل شهر؟.

فأجابت اللجنة برئاسة العلامة ابن باز -رحمه الله- بما نصه: "لا يجوز أخذ نسبة من العمال وتركهم يعملون عند غير كفيلهم". فتاوى اللجنة الدائمة ، رقم 20057 .

كما وُجه للجنة سؤال من شخص قام باستخراج اثنتي عشرة فيزا لاستقدام عمال من إحدى الدول، فأعطاه مكتب الاستقدام في تلك الدولة عن كل تأشيرة ألف ريال، ثم اتضح له أن ذلك المبلغ تم استقطاعه من العمالة المستقدمة!.

فأجابت اللجنة الدائمة بما نصه: "يجب عليك رد المبلغ المذكور إلى العمال، فإن تعذر فتصدق به عنهم؛ لأن المبلغ اقتطع منهم بغير حق". فتاوى اللجنة الدائمة رقم 16681 .

كما صدر قرار من هيئة كبار العلماء جاء فيه: " أن كل استخدام أو تشغيل للمستقدمين يخالف ما أقرته الدولة للمصلحة العامة فهو ممنوع، وأن كل ما يأخذه المستقدمون من العمال مقابل تمكينهم من العمل عند غيرهم يعتبر محرما". من قرارات هيئة كبار العلماء قرار رقم 103 وتاريخ 28 / 3 / 1403هـ .

وكلنا يعلم أن الجرائم الاجتماعية والفواحش الأخلاقية قد تضاعفت عند كثير من العمالة الوافدة ، ولعلّ من أكثر أسبابها جمع المال من حلال أو حرام .

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم ..**

الثانية

حدثنا الصادق المصدوق عن الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار مظلم ، فانحدرت صخرة من أعالي الجبال ، فسدّت باب الغار ، فقال قائلهم : تعالوا بنا نتوسّل إلى الله ، وندعوه بصالح أعمالنا في الرخاء ، فَقَالَ آخرهم: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ البَقَرَ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ " رواه البخاري .

يا لروعة الأمانة ، وحلاة الإيمان ، قارن حال هذا الرجل المؤمن الذي استأجر أجيراً فامتنع الأجير عن أخذ ماله ، فيحفظه عنده بل وينمّيه له ، حتى غدا المال وفير ، والأنعام في البراري تسير ، فما بين إبل ، وبقر ، وغنم فيأتي الأجير بعد زمن ليقبض ماله الزهيد ، ولكن صاحبه الصادق الأمين يمدّ بصر العامل المسكين إلى وادي من الإبل ، ومن البقر ، ومن الغنم فيتساءل في دهشة : أتهزأ بي ؟ فيقول : لاَ أَهْزَأُ بِكَ .

لا إله إلا الله .. أين هذا الكفيل اليوم ؟ ، لقد كان الكفيل قادراً أن يتلمّس فتوةً ليستحلّ بها ما نمى وزاد من مال هذا العامل ، والأمانة والرحمة لكنها العفّة والتقوى .

قارن هذا الكفيل المؤمن بنماذج من كفلاء اليوم ؟

ليتذكر كل كفيل ومكفول أن الحقوق عظيمة ، «فمَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» رواه البخاري .

ليتذكر الكفيل والمكفول أن الله تعالى أدخل امرأة النار بسبب هرة ،قال : «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» رواه البخاري .

أخي المسلم حقوق العباد لا تسقط إلاّ بردّها إلى أصحابها أو استحلالهم منها .

أخي المسلم والله إن الأمر جد خطير ، أخي المسلم إن مظالم العباد التي نسيناها اليوم لن ينساها الله ( أحصاه الله ونسوه )

سجن هارون الرشيد أبا العتاهية فأرسل له من السجن رسالة يقول فيها :

أما والله إن الظلم شؤم وما زال المسيء هو الظلوم

إلى الديان يوم الحشر نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

فبكى هارون الرشيد حتى فحص برجليه وأمر بإرضائه وأطلقه .